مجلة الموروث مجلد: 03عدد: 01 السنة: 2021
ص: 52 – ص75 ISSN:2710-8503/EISSN:2992-1538

جهود العلامة الشيخ محمّد باي بلعالم في إحياء الدّرس اللّغويّ.

The efforts of Scholar Sheikh Muhammad Bay Belalem in reviving the linguistic lesson

د. عمر بوشنة [*] ، د. بهادي بشير

Dr. Bahadi bachir, Dr. Omar Bouchena [1]

جامعة الجزائر (2) . الجزائر.

Algiers 2 University

bouchena01@gmail.com [1]

bahadi05@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال:2021/03/16	تاريخ القبول:.2021/04/18	تاريخ النشر: 2021/04/30

مُلخّص البحث

إنّ صفحات التّاريخ الجزائريّ تحفظ لنا أسماءَ أعلامٍ مبرّزين، في القديم والحديث، وعلى شتّى الميادين العلمية؛ كالعلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث،والعلوم اللغويّة من نحو وصرف وغيرهما، ولعلّ منطقة الجنوب الجزائريّ الكبير إحدى المناطق التي عُرفت بشيوخها وعلمائها الأجلّاء، الذين سعوا جاهدين إلى نشر العلم والقضاء على الجهل والتخلّف قديماً وحديثاً. ومن بين هؤلاء الشيخ محمد باي بلعالم الذي كان اهتمامه باللغة العربية كبيراً، حيث انبرى إلى شرح العديد من المنظومات اللّغوية؛ سواءٌ في النحو أو الصّرف، كما قام بتأليف عدّة منظومات في هذا المجال، ولم تَخلُ شروحه في غريب القرآن وعلومه من الإشارة إلى إعراب الشواهد والأمثلة وهذا ما يمثل لنا ثروة لغوية نفيسة في مجال الدرس اللّغوي وإحيائه، وهذا ما سنعرضه في هذه الورقة البحثيّة، تعريفا وتوصيفا.

الكلمات المفتاح : محمد باي، جهود، لغة، نحو، منظومات.

Abstract :

The Algerian history pages preserve for us famous names and personalitirs, in the past and now, and on various scientific fields, like

[*] د. عمر بوشنة . bouchena01@gmail.com

Sharia sciences " interpretation, jurisprudence and hadith of the prophet, in addition to the linguistic sciences such as grammar and morphology and others sciences. And perhaps the Great Southern region of Algeria is one of the regions known for its great scholars, who have worked so hard to spread knowledge and eliminate ignorance and backwardness, in the past and now. Among them was Sheikh Mohamed Bay Belalem, whose interest in the Arabic language was great, as he worked on explaining many educationnal poems, whether in grammar or morphology, as he authored several educational porms in this field, and his interpretations in " The Strange of Qur'an " and its sciences were not without reference to the parsing of evidences and examples, and this represents a very valuable linguistic treasure in the field of the linguistic lesson and reviving it. And this is what we are going to highlight in this research paper, in term of definition and description.

Keywords: Mohamed Bay. The efforts. Linguistic. Grammar. Morphology.

مقدمة:

إنّ صفحاتِ التّاريخ الجزائريّ تحفظ لنا أسماء أعلامٍ مبرّزين، في القديم والحديث، وعلى شتّى الميادين العلمية؛ كالعلوم الشّرعية من تفسير وفقه وحديث، والعلوم اللّغويّة من نحو وصرف وغيرهما، ولعلّ منطقة الجنوب الجزائريّ الكبير إحدى المناطق التي عُرفت بشيوخها وعلمائها الأجلّاء، الذين سعوا جاهدين إلى نشر العلم والقضاء على الجهل والتخلّف قديماً وحديثاً.

ومن بين هؤلاء العلماء أذكر: العلاّمة محمد بن أب (1160هـ) ، والعلامة سيدي محمد بن علي الوقروتي (1060هـ) المشهور بالنّحوي، والعلامة محمد بن أحمد الزّجلاوي[1]، وصولاً إلى العلاّمة الشيخ محمد باي بلعالم (18 أفريل 2009هـ). الذي يعدّ من علماء الجزائر المحدَثين الذين صنّفوا في فنون شتّى لا سيّما ما تعلّق منها باللّغة.

وإنّه لمن نافلة القول أن نثني على أمثال هؤلاء الأعلام، الذين منهم من قضى نحبَه ومنهم من ينتظر؛ لأنّ مؤلفاتِهم وأعمالَهم الجليلةَ أكبرُ شاهد على مكانتهم، وعلوّ كعبِهم في ميدان الصّناعة العلميّة، غير أنّه لما صِرنا في زمنٍ قد تنكّر فيه الكثيرون عن أهل العلم، فبات العالم

مغمورَ الذّكر بين أهله وخاصّته، غريباً بينهم، كان لزاما علينا أن نقف وقفة إجلالٍ لهم وبيانٍ لفضلهم؛ تعريفا بمصنّفاتهم وإسهاماتهم حتى يطّلع الأبناءُ على تراث الآباء فيفتخروا بهم، ويحذوا حذْوَهم.

وليس الشّيخ محمد باي بلعالم عالمُ الجزائر وحاملُ لواء الفقه المالكي فيها ببعيدٍ عن هذا؛ فقد أطبقت شهرته المشرق والمغرب، وذاع صيتُه خارج وطنه، وحظيت مصنّفاته بالقَبول أكثر من الدّاخل، ولعلّ الكثيرين يعرفونه بالفقيه المالكيّ ولا يعرفون عنه جوانبَ أخرى قد برّز فيها بمصنّفاتٍ نفيسة، لا تقلُّ أهميةً عن مصنّفاته في الفقه وأصوله والحديث وعلومه، وهو العالم اللّغويّ والشّاعر النّحويّ الذي لا تكاد تخلو مؤلفاته من نكتٍ لغويّة ومُلح نحوية وصرفيّة، عِلاوةً على ما أفرده في هذا المجال من مؤلفاتٍ خاصة باللّغة والنّحو.

ولقد استرعى انتباهنا هذا العالم الموسوعيّ، فأرتأينا أن نسلّط الضوء في هذه الورقة البحثيّة على جهوده اللّغوية تعريفا بها، وعرضا ووصفاً لمنهجه في تأليفها، وهذا ما سنتناوله في النقاط التالية:

- **مقدمة.**
- **التعريف بالعلّامة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله وأهم مصنّفاته العلمية.**
- **بيان جهود الشيخ محمد باي بلعالم اللغوية من خلال مصنّفاته.**
- **خاتمة تشمل نتائج البحث.**

أوّلا: التعريف بالعلّامة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله وأهم مصنّفاته العلمية.

1) التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم :

محمد باي بلعالم هو: هو أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلويّ؛ نسبة إلى منطقة أقلبي وهي بلدية تابعة لدائرة أولف بولاية أدرار، في أقصى الجنوب الغربيّ الجزائريّ. الشّهير بالشّيخ باي، ويعود نسبه إلى قبيلة فلّان، التي يعود أصلها إلى قبيلة حمير. المالكيّ نسبةً إلى مذهب الإمام مالك في الفقه الذي برّز فيه فكان حامل لوائه في القُطْر الجزائريّ.[2]

وإلى هذا التعريف يشير الشّيخ باي رحمه الله في بداية إحدى منظوماته الموسومة بـ: "الكوكب الزُّهريّ نظم مختصر الأخضريّ" فيقول:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ القادِرِ ... القَبْلَوِيّ السَّاهِلِيّ القاصِرِ
"بَايٌ" بها عُرِفَ و"ابْن العَالِمِ" ... لقبُهُ في دَفْتَرِ المَحَاكِمِ[3]

إذ يظهر جليّا من خلال البيتين أنه يعرّف نفسه على أنّ اسمَه: محمّد واسم أبيه هو عبد القادر، ثم ينسب نفسه بكلمة "القبْلَوي" إلى بلدية أقبلي، وبكلمة السّاهليّ إلى "قصر ساهل" أحد قصور بلدية أقبلي الأربعة؛ وهي : قصر ساهل، وقصر أركشاش، وقصر الزاوية أي زاوية الشيخ بونعامة، وقصر المنصور.[4] ثم يختم البيت الأول بوصف يدلّ على التّواضع وهو "القاصِر" وذلك ديدنُ العلماء؛ أنّهم دوما يرون أنفسهم مقصّرين لم يبلغوا درجة الكمال الذي استأثر به المولى عزّ وجل لنفسه.

أمّا في البيت الثّاني فيذكر اسم الشّهرة "بايّ" الذي يعرف به؛ وسبب شهرته به تعود إلى الشّيخ العلّامة :" محمد باي بن عمر الكُنتي الأَزْوادي" الذي تزامنت وفاتُه مع ميلاد شيخنا محمد باي بلعالم، فاختار له والدُه هذا اللقبَ تفاؤلا وتبرّكا به.[5] أمّا لقب: "بلعالم أو ابن العالم" فهو اللقب الأصلي الذي يعرف به في الحالة المدنية وهو ما أشار إليه بقوله : لقبه في دفتر المحاكم.

2) **المولد والنشأة:**

ولد العلّامة الشيخ محمد باي بلعالم سنة (1349هـ . 1930م) بحي ساهل من أقبلي . كما أسلفنا الذكر . من بين خمسة ذكور لوالده الشيخ "محمد عبد القادر بلعالم" (1372هـ . 1952م) الذي كان بدوره فقيها وعالماً كبيراً، نشأ في أسرة علميّة متديّنة، تعلّم القرآن على يديّ الشّيخ "محمد عبد الرحمان بن مكي بلعالم"(1365هـ . 1945م) ، ومبادئ الفقه واللغة على يديّ والده ، الذي أخذه فيما بعد إلى مدرسة العلّامة مولاي أحمد الطّاهريّ الإدريسيّ بمدينة "سالي"، التي كانت آنذاك منارةً تُقصد للعلم والتّكوين. وبطلب من أهالي مدينة أولف انتقل إليها بعد إجازته من قبل شيخه "مولاي أحمد" فتولى التّدريس بحي "الرّكينة" أين وضع النّواة الأولى لمدرسته الشّرعية المعروفة حاليا بمدرسة الصّحابيّ الجليل: مصعب بن عُمَير، التي تستقطب أعدادا كبيرةً من الطّلبة الوافدين من مختلف أنحاء القطر الجزائريّ، وقد تخرج فيها أئمة كثيرون يتولّون الإمامة في مختلف مساجد الجزائر.[6]

ولقد كان الشّيخ محمد باي رحمه الله يتّصف بالأخلاق الفاضلة والصّفات الحميدة؛ كالكرم والجود وحسن الضّيافة والسّماحة والعطف والإيثار والمحبة، وغيرها من مكارم الأخلاق التي استمدّها من القرآن الكريم وهدي النّبي صلّى الله عليه وسلم، التي تعكس الطبع الصّحراويّ والبيئة المحافظة التي نشأ بها، فقد كان محبوبا من قبل الجميع؛ صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وهذا ما جعله محلّ إعجاب واحترام علماء أجلّاء سنحت له الفرصة أن يلتقي بهم سواءٌ من خارج القطر الجزائري أو من داخله، من أمثال الراحل الدكتور عبد الرحمان شيبان رحمه الله، والشيخ أحمد الشّريف الأطرش السّنوسي، والشيخ إبراهيم بيوض، والعلامة الشّيخ أحمد سحنون، والشيخ محمد الطاهر علجت حفظه الله، ومن خارج الجزائر الشيخ أحمد بن الأمين الشّنقيطي وغيرهم كثير ممن التقى بهم في رحلاته إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحج.[7]

3) **نشاطه العلمي:**

إضافة إلى المدرسة القرآنية التي أسّسها الشّيخ محمد باي بلعالم رحمه الله، فإنّه قد شارك في الكثير من الملتقيات والنّدوات العلميّة؛ حيث ألقى العديد من المحاضرات في شتّى المواضيع، كما كان الشّيخ رحمه الله يكثر من الدروس الإرشادية في شهر رمضان الكريم، إذ ينتقل بين مختلف مساجد المنطقة ليحاضر بها، ولقد اعتمد ـ رحمه الله ـ سُنّةَ قراءة صحيح البخاري وموطأ مالك على أن يختمهما سنويا في حفل بهيج يحضره الناس من مختلف الجهات، ويقوم بذات الشّيء مع صحيح مسلم إلا أنّه يختمه مرّة كل سنتين.[8]

ولقد أعقب هذا الجهدَ حصولُه على شهادة الليسانس من جامعة أدرار في العلوم الإسلامية، وإجازة مجموعة كبيرة من العلماء خارج الوطن وداخله له، أذكر من بينهم:

1 – إجازة عامة من شيخه مولاي أحمد الطّاهريّ بن عبد المعطي عند انتهاء الدّراسة.

2 – إجازة عامّة من السيد الحاج أحمد الحسن بأسانيد متعدّدة.

3 – إجازة من السّيد علي البوديلمي في الحديث وعلومه.

4 – إجازة من العالم اللبناني الشيخ زهير الشّاويش.

5 – وأجيز في مكة المكرمة من الشيخ العالم الشريف السيد محمد علوي المالكيّ.

6 – وأجيز في المدينة المنورة من الشيخ محمد العربي السّنوسي.

7 – كما تحصل على شهادة الإمام الأستاذ من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .[9]

4) وفاته:

" توفي الشّيخ محمد باي رحمه الله صبيحة يوم الأحد 24 ربيع الآخِر 1430هـ الموافق لـ: 19 أفريل 2009م"[10]، ودفن بأولف، بعد أن حضر جنازته جمع غفير من الناس على رأسهم السّلطات المدنية ممثلةً في ممثل السّيد رئيس الجمهورية الجزائرية عبد العزيز بلخادم ووزير الشؤون الدّينية آنذاك أبو عبد الله غلام الله ، والشيخ محمد مكركب، والدكتور يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية حاليّا الذي ألقى كلمة تأبينية بالمناسبة.

رحل الشّيخ محمد باي مخلّفاً وراءَه فراغاً هائلا في السّاحة العلميّة، بزوال ركن من أركان الفقه المالكيّ في الجزائر، وقد ترك تسعة أولاد وستّ بنات يسيرون على نهجه القويم، إضافة إلى مجموعة ضخمة من المصنّفات ما بين تأليف وشرح ونظم وغيره سأعرض لذكرها فيما يلي.

5) مؤلّفات الشّيخ محمد باي بلعالم:

لقد ترك الشيخُ باي رحمه الله مصنّفاتٍ كثيرةً في شتّى فنون العلم، مما يدلّ على غزارة علمه، وكثرة مرويّاته وحِدّة ذكائه، وصبره على تتبع أقوال العلماء وسبرها في تحليل ونقد وأخذ وردّ، بالرّغم من مزاولته مهنة التّدريس والخطابة وأسفاره المتعدّدة إلا أنّ الله قد بارك له في وقته فبلغ الغاية في التّصنيف، خاصّة ما تعلّق منه بالفقه المالكيّ وأصوله، والحديث ومصطلحه وعلوم القرآن واللّغة والسّيرة النّبوية حتّى بلغ عددها أربعين مصنّفاً وهي كالآتي:

- **في الفقه المالكي:**

1. **زاد السّالك شرح أسهل المسالك:** ويقع في جزأين.
2. **ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك:**ويقع في أربعة أجزاء.
3. **فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك:** أرجوزة تقع في 2509 بيتاً.
4. **الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزّية:** نظم يقع في 1049 بيتاً.
5. **الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية على نثر العزّية ونظمها الجواهر الكنزية:** ويقع في جزأين.
6. **السبائك الإبريزيّة على الجواهر الكنزية:** وهو شرح لنظمه السّالف الذكر؛ "الجواهر الكنزيّة".

7. **فتح الجواد شرح على نظم العزّيّة لابن باد:** وهو شرح أيضاً.
8. **الكوكب الزُّهري نظم مختصر الأخضري:**نظم لنثر الشيخ الأخضري يقع في 384 بيتاً.
9. **الإشراق البدري شرح على الكوكب الزُّهري:** وهو شرح للنّظم السابق.

10 . **المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكريّة:** شرح لمنظومة الشيخ محمد البكري (1262هـ . 1339هـ) المسمّاة الأوليّات في كل علم أو فنّ.

11 . **أنوار الطريق لمن يريد حجّ البيت العتيق:** ويتناول أحكام الحج والعمرة وما يتعلق بهما.

12 . **إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمّات من مختصر خليل:** وهو شرح يقع في أربعة أجزاء.

13 . **مرجع الفروع إلى الأصيل من الكتاب والسنة الكفيل:** وهو أضخم مصنّفاته؛ إذ يقع في عشرة أجزاء.

14 . **السيف القاطع والردّ الرادع لمن أجاز في القروض المنافع:** يتحدث عن فوائد البنوك المحرّمة.

15 . **تحفة الملتمس على الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس:** وهو عبارة عن شرح مخطوط؛ يعدّ آخر ما ألّفه في حياته في الفقه المالكي.

16 . **انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس:** وهو عبارة عن ردّ عن سؤال السيد سعيد هرماس الجلفاوي.[11]

- **في أصول الفقه:**

1. **ركائز الوصول على منظومة العمريطي* في علم الأصول:** وهي عبارة عن شرح لمنظومة العمريطي.
2. **ميسّر الحصول شرح على سفينة الأصول:** وهو شرح لنظم الشيخ محمد الأمين القريشي المسمى: سفينة الوصول لطالبي علم الأصول.[12]

- **في علم الفرائض:**

1. **الدرّة السنيّة في علم ما ترثه البريّة:** وهو نظم مخطوط يقع في 138 بيتاً.

2. **كشف الجلباب شرح على جوهرة الطّلاب في علمَي الفروض والحساب:** وهو عبارة عن شرح مطبوع.
3. **فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف:** وهو أيضا عبارة عن شرح مطبوع.
4. **مركب الخائض على النيل الفائض:** وهو شرح مطبوع.[13]

- **في السيرة النبوية:**

1. **فتح المجيب في سيرة النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم:** مخطوط.[14]

- **في علوم القرآن:**

1. **ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم:** وهو شرح يقع في جزأين.
2. **المفتاح النوراني على المدخل الربّاني في الغريب القرآني:** وهو شرح مطبوع يقع في جزأين.

- **في الحديث:**

1. **كشف الدّثار عن تحفة الآثار:** شرح مطبوع.[15]

ومن خلال ما تقدّم من هذه المؤلفات الفقهية والحديثية فإننا نلاحظ أنّ الشيخ محمد باي بلعالم كان حريصا على تسمية مؤلفاته على طريقة السّجع، كما أنّها جميعا لا تخلو من أن تكون نظماً أو شرحاً على نظم، ولقد بلغت الغاية في النتاج الفقهي فجاء وفيرا غزيراً؛ إذ أكثر الشّروح والاستدلالات والفروع في مذهب الإمام مالك فاستحقّ بذلك أن يوصف بحامل لواء الفقه المالكيّ، وهذا ما يدلّ على علوّ كعبه فيه واستحضاره لمسائله ودقائقه، فجاءت بعض كتبه جوابا عن سؤالات الطّلبة.

وبعد الفراغ من ذكر بعض مؤلفات الشّيخ محمد باي بلعالم غير اللغوية، نخص بالذكر الآن ما صنّفه في الجانب اللّغويّ فقد كان اهتمامه باللّغة كبيراً، حيث انبرى إلى شرح العديد من المنظومات اللّغوية؛ سواء في النّحو أو الصرف، كما قام بتأليف عدّة منظومات في هذا المجال، ولم تَخلُ شروحه في غريب القرآن وعلومه من الإشارة إلى إعراب الشّواهد والأمثلة وهذا ما يمثل لنا ثروة لغويّة نفيسة في مجال الدّرس اللّغويّ تبلورت في مؤلفات منها:

اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم.

– كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.

– منحة الأتراب على ملحة الإعراب.

– الرحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم.

– التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة.

– عون القيوم على كشف الغموم.[16]

ومما يميّز هذه المصنّفات أنها تعنى بالجانب النّحويّ في أغلبها، لكن وجب التنبيه إلى أنّ للشيخ محمد باي بلعالم جهودا لغويّةً تتعلق بالجانب المعجميّ في غير مظانّها؛ وهي ما ظهر في تفسيره لمفردات غريب القرآن الكريم، وما أفرده في كتابه "الرحلة العليّة إلى منطقة توات" الذي عقد فيه فصلاً بعنوان: التّخطيط اللّغويّ في منطقة توات، جاء في مقدّمته: "بما أنّ تواتاً منطقة قديمة سكنها البرابرة قبل الإسلام ونزح إليها قبائل عربية وغير عربية إفريقية وفرنسية وتركية وعبرية وشلحية، وكلّ طائفة لها لغتُها فانصهرت تلك اللّغات باللّغة العربية الفصحى والدّارجة، وبقيت تلك اللّغات على ألسن سكان توات، منها بقايا من اللّغة البربرية ؛ لأنّ من المعلوم كما قال ابن خلدون لا عربية في إفريقيا قبل الإسلام لهذا نجد في محيطنا أسماء موروثة عن البربرية باقية على لهجتها وكذلك التركية والكورية والعربية والزناتية وإن كانت نوعا من اللغات ابربرية، وهذه الأسماء تعم كل المحيطات." [17]

ويواصل الشيخ محمد باي عرضه لهذه الكلمات على طريقة الحقوق الدلاليّة، واضعا كل مجموعة منها تحت عنوان معين أذكر من ذلك:

- الثقافة الدينية والتربوية من خلال اللغة الدارجة الممتزجة من عدة لغات دارجة.
- الثقافة المنزليّة من خلال اللّغة الدّارجة الممتزجة بعدّة لغات.
- الثّقافة اللّغويّة للآلات المنزليّة وغيرها من خلال اللّغة الدّارجة الممتزجة من لغات شتى غير عربية.
- ثقافة الألبسة من خلال اللّغة الدّارجة الممتزجة.

- الثّقافة الفلاحيّة من خلال التّخطيط اللّغويّ الدّارجي وأسماء العينيات من اللّغة الدارجة الممتزجة بعدة لغات غير عربية.
- ثقافة الموارد المائية من خلال اللّغة الدّارجة غير العربية بربرية وغيرها.
- من خلال التخطيط اللّغوي الدّارجي أسماء غير عربية متعلقة ببعض الحيوان الإبل والبغال والحمير والخيل.
- ثقافة المأكولات من خلال اللغة الدّارجة البربرية وغيرها.
- ثقافة متعدّدة لبعض الكلمات البربريّة والفرنسيّة والكوريّة.
- ثقافة بعض الكلمات المتعددة في المحيط ما زالت باقية على أصالتها في اللّغات المتعددة.[18]

رغم سعي الشّيخ محمد باي بلعالم إلى جمع وترتيب هذه الكلمات وفق حقول مفهومية معينة، فإنّ عمله هذا لا يبعد كثيرا عن عمل أصحاب المعجمات الموضوعية، كما أنه حرص على أن يبين في أثناء عرضه لكل عنوان علاقة المفردات بغيرها من اللغات الممتزجة فيها، فكان ينصّ عليها بذكر اسمها، وهذا عمل معجميّ متميّز لو أفرده في مؤلف خاص لكان أبلغ للغاية.
ولما كانت المصنفات النحوية هي التي أفردها بالتأليف المستقل،فقد استرعت اهتمامنا، فرأينا أن نبيّنها ونقدّمها مع شيء من التفصيل لأهميتها في الدّرس اللّغويّ الجزائريّ، باعتبارها إضافة جليلة للمكتبة العلميّة الجزائريّة، وللحركة اللّغوية في هذا الوطن.

ثانيّاً: بيان جهود الشيخ محمد باي بلعالم اللغوية من خلال مصنّفاته.

1) اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم*:"مطبوع"

وهو عبارة عن نظم مطبوع لمقدّمة العلّامة ابن آجروم (672 – 723 هـ = 1273 – 1323 م) في النّحو، المشهورة بالآجرومية وقد بلغ عدد أبيات هذه المنظومة 202 . ويفتتحها العلاّمة محمد باي ببراعة استهلال رائقة فيقول:

الحَمدُ لله الذي قدْ فتَحَا ... أبوابَ فَيضِه لمنْ لَهُ نَحا
صَلَى وسَلّم على من خَفَضَا ... بالجَرِم مَنْ عَنْ ربّه قدْ أعْرَضَا
محمدٌ مَن نُورُهُ قدِ ارتَفَعْ ... وعمَّ كلَّ العالمينَ إذْ طَلَعْ
فانْفتحتْ بهِ الأذانُ الصُمُّ ... ونطَقتْ به الشِّفاهُ البُكْمُ[19]

فالملاحظ على هذه الأبيات أنّها تشمل أقسام الإعراب؛ من رفعٍ ونصب وجزمٍ وجرّ هذا الأخير الذي عبّر عنه بمصطلح المدرسة الكوفيّة وهو الخفض كما هو ظاهر في آخر صدر البيت الثاني، وقد جاءت هذه الأرجوزة في بدايتها(عتبة نصّية) معبّرة ومشيرة إلى فحوى الموضوع الذي ستتضمّنه، وهو ما صرّح به قائلاً:

وبعدُ إنَّ اللحْنَ داءٌ مُزمِنُ ... مُؤثّرٌ تَئنُّ مِنهُ الأَلْسُنُ
لذاكَ قد أدّى بي الفهْمُ الضعيفْ ... لِنَشْإِ أبياتٍ في ذا الفنِّ المنيفْ
سَمّيتُهُ باللؤلؤ المنظومِ ... في نَظْمِ مَنثورِ ابْنِ آجرُّومِ[20]

وقد تناول في هذا النّظم جميع المسائل النّحويّة التي تضمّنتها مقدّمة ابن آجروم النّثرية، مجموعةً في مقدمة واثنين وعشرين باباً، أوّلها: " الإعراب ومعرفة علاماته"، وآخرها: "باب مخفوضات الأسماء" ، وقد كان يتّصف في نظمه هذا بتقريب المعنى الكثير وجمعه في لفظ يسير نحو قوله في باب الإعراب وبيان أقسامه واختصاص أحدها بالاسم والفعل دون الآخر:

رفعٌ ونصبٌ ثم خفضٌ جزمُ ... أقسَامُهُ أربعةٌ فالاسمُ
قدْ خُصَّ بالثلاثِ والجزمُ امْتَنَعْ ... في الاسمِ والخَفضِ منَ الفعْلِ انقطَعْ[21]

كما كان يمثّل بأمثلة تقريبا للمبتدئين في منظومته بما لا يدع مجالاً للغموض في الفكرة، وهذا احتذاءً منه لطريقة المتقدّمين في ميدان المنظومات التعليميّة، فنجده يقول مثلا في "باب المفعول به" :

وحُكْمُ "مَفْعُولٍ بهِ" النَّصبُ فَلاَ ... مُنَازِعٍ في نَصْبِهِ مِنَ المَلَا
مِثَالُهُ: رَمَيتُ زَيداً بالحَصَى ... وخالداً ضربْتُه لمَّا عَصَى [22]

ولقد كان الفراغ من تأليفه لهذا النظم في شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم، سنة **1407هـ. 1987م**، كما نصّ على ذلك في آخره مثلما هي عادته أن يذكر تاريخ فراغه من تآليفه كيفما كانت نظما أو نثرا في آخرها، حيث قال:

قدِ انْتَهى ونسألُ اللهَ العظيمْ ... أنْ يجْعَلَ العَمَلَ للوجْهِ الكَريمْ
سنةَ ألْفٍ معَ أربَعٍ مِئينْ ... وسبعةٍ لهجرةِ الهادِي الأمينْ

في شهرِ مولِدِ النَّبي المصطَفَى ... صَلَّى عليهِ ربُّنا وشَرَّفَا [23]

2) **كفاية المنهوم* شرح اللؤلؤ المنظوم**: "مطبوع"

ويعدّ هذا التأليف شرحا للنّظم السّابق: "اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم" ، نزولاً عند رغبة من طلبَ منه ذلك فلم يتوانَ عن تلبية طلبه إذ يقول في مقدّمته: "قد طلب مني بعض الأصدقاء وضع تعليق على منظومتنا اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، ولم نرَ بدّاً من النزول عند رغبته، وتحقيق أمنيته، سائلا من الله التّوفيق والهداية إلى أقوم طريق."[24] وهذا ما يظهر من خلال العنوان المسجوع؛ إذ كل من سمع كلمة كفاية المنهوم والمعروف عن المنهوم أنه شرهٌ لا يستكفي إلا قليلا، فهو دوما يطلب المزيد، يعرف أنّ هذا التأليف تلبيةً لطلب شخص مولعٍ به ومتعطّش له.

2 . 1 . منهجه في تأليفه:

يعدّ هذا الشرح خلاصةَ شرحين لمنظومتين في النّحو كلتاهما للعالم ابنِ أُبّ المزميّ نظمهما على نثر ابن آجروم؛ فقام الشّيخ محمد باي بشرح المنظومة الأولى وهي أرجوزة اسمها: "نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم" وشرحه عليها أسماه بـ: "الرّحيق المختوم لنزهة الحلوم"، وأمّا المنظومة الثّانية فهي: "كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم" وشرحه عليها هو: "عون القيّوم على كشف الغموم"، وقد انتخب الشّيخ محمد باي رحمه الله من الشّرحين السَّالفين شرحاً لمنظومته على الآجرومية نزولا عند رغبةِ طلبِ أحد الأصدقاء كما أسلفنا، وهو الذي سمّاه بـ:"كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم" وعن ذلك يقول:"هذا وقد جمعت التعليق من شرحنا الرّحيق المختوم على نزهة الحلوم ومن شرحنا عون القيوم على كشف الغموم، وكلّ منهما على منظومة من نظم الشّيخ السيد محمد بن أبّ؛ الأولى من بحر الرجز والثّانية من بحر الطويل وقد استخلصت من الشّرحين ما حلّلت به منظومتنا هاته".[25]

وقد كان في أثناء شرحه هذا يبدأ ببيان المعاني اللّغوية للمفردات، ويستعين بالشّواهد القرآنيّة والحديثية وكلام العرب الموثوق بعربيتهم؛ من شعر ونثر ومثال ذلك قوله:"والفيض هو الشّيء الكثير الغزير قالت الخنساء:

كأنَّ دمعي لذكراه إذا خطرتْ ... فَيضٌ يَسيلُ منَ الخدّينِ مدْرارُ.*

ويقال: أعطانا غيضاً من فيض أي قليلاً من كثير."[26]

كما كان يعرض أقوال النّحاة ويناقشها ويرجّح بعضها على بعض، ويستحسن بعضها الآخر مشفّعاً كل قول يذهب إليه بدليل، أو رأي لأحد أئمة النحو الموثوق بهم في ميدان الصّناعة النّحوية وسأكتفي بنقل فقرة يشرح فيها الخلاف بين النحاة في علّة رفع الفعل المضارع؛ إذ يقول:"واختلف في رافعه [المضارع] فقال الفرّاء: التجرّد من النّواصب والجوازم، واختاره ابن الخبّاز وابن مالك، وقال سيبويه وجمهور البصريين مرفوع لوقوعه موقع الاسم، وذهب ثعلب إلى أنّ الرافع له مضارعة الأسماء **وهو حسن** وذهب الكسائي إلى أن الرافع له حروف المضارعة، ورُدّ بوجودها في حالتي النّصب والجزم. "[27]

وقد كان الفراغ من تأليف هذا الشرح يوم الخميس 25 رجب 1412هـ بالمدرسة الدينية مصعب بن عمير بآولف[28]، بعد أن ضمّنه زبدة شرحين فجاء كالقلادة في جيد الحسناء، وقد بلغت عدد صفحاته: 115 صفحة.

3) **الرحيق المختوم لنزهة الحُلُوم**: "مطبوع"

إن هذا المصنّف ـ كما مرّ معنا آنفاً ـ يعدّ أيضاً شرحا لإحدى منظومات العلاّمة الشّيخ محمد بن أُبّ المزمري* (1094 ـ 1160هـ) ، الذي نظم ثلاث منظومات على مقدمة ابن آجروم السّالفة الذّكر، وكان من بينها منظومته: "نزهة الحُلوم في نظم مقدمة ابن آجروم"، هذه الأخيرة التي انبرى لها الشّيخ محمد باي فشرحها عندما لم يجد من تصدّى لذلك من العلماء رغم شهرتها، وبهذا الصدد يقول:"وهذه المنظومة أيضا كانت معروفة له، وموجودة في الخزائن العلمية ولكن مع ذلك لم يوجد لها أي شرح من طرف علماء توات ولا غيرهم ...، فحملتني الغيرة الدينية والأدبية أن أضع شرحاً على هاته المنظومة مستمدا العون من الله ."[29]

3. 1. بيان منهجه في الشرح:

لقد افتتح الشّيخ محمد باي هذا الشّرح بالتّعريف به وبصاحبه؛ حيث ترجم لحياته وذكر أهم أعماله العلميّة والأدبيّة، ثم شرع في ذكر حدّ هذا الفنّ الذي هو بصدد شرح منظومته، فبيّن حدّ علم النحو وفضله وحكمه وساق أقوالا لمختلف الأئمة والعلماء في الإشادة بضرورة تعلّم هذا العلم.

وأمّا عمله داخل الشّرح فقد كان حريصاً على الضّبط الدّقيق للكلمات، وبيان منزلتها من الفصاحة، فتجده ينصّ على ضبطها باللّفظ مع التّنبيه على المعاني التي قد تكون متعدّدة للتّفريق بينها فمثلا يقول في شرحه للمقدّمة: "قوله مقدِّمة بفتح الدّال وبكسرها والكسر أفصح. " [30]

كما يلاحظ عليه كثيرا استشهاده بألفية ابن مالك في أثناء شرحه؛ حتى لا يكاد يخلو موضع من مواضع شرحه من الاستشهاد بها وسأسوق مثالا واحدا على ذلك يبين فيه علامة نصب ما جمع بتاء وألف إذ يقول: "وأما الكسرة فتكون علامة للنّصب في الجمع الذي جمع بتاء وألف، وهو جمع المؤنث السّالم وما ألحق به، وهذا معنى قوله[يقصد الناظم : محمد بن أبّ]: (وينصب الجمع بتاء وألف بالكسر) قال في الألفية:

وما بتا وألف قد جُمِعا ... يكسر في الجر وفي النصب معا [31]"

وهذا الشّرح أيضا لا يخلو من نقاشات، يسوق فيها كلام النحاة ويقوي به ما يذهب إليه من أحكام، وقد كان فراغ الشّيخ محمد باي رحمه الله من تأليفه يوم: **08 ربيع الأول 1407هـ.**[32] وقد بلغ عدد صفحاته 115 صفحةً.

4) عون القيّوم على كشف الغموم: "مخطوط"

وهذا هو الشّرح الثّاني للمنظومة الثّانية التي نظمها الشيخ محمد بن أبّ المزمري (109 . 1160هـ)، الموسومة بـ: "كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجرُّوم" التي جاءت على بحر الطّويل خلافا للمنظومتين الأُخْرَيَيْن اللتين نظمهما على الرّجز، يقول في مقدّمتها:

لكَ الحمْدُ يا إلهي يا منْ تفضّلا ... ومَنّ علينا بالبيانِ وَأجمَلا
وبعدُ فذا نَظمٌ يروقُ فمَنْ يَذُقْ ... جَنَاهُ إلى الكُتْبِ الكِبارِ تَوصّلا
أتَى جَامِعاً لُبَّ المقدّمةِ التي ... حَوَتْ لابْنِ آجرّومِ نثْراً مُفَصَّلا
وسمّيتُهُ كَشْفَ الغُمُومِ لكَشْفِهِ ... عَنِ المرْءِ غمَّ اللَّحْنِ سَاعَةَ يُبتَلَى.[33]

ويبدو أنّ هذه المنظومة كانت خافية عن أنظار العلماء، غير أنّ البحث والتنقير عن المخطوطات قد مكّن الشّيخ محمد باي بلعالم من العثور عليها، وهو ما حَمله على أن يضع لها شرحاً فيكون قد أحرز قصب السّبق بذلك؛ لأنّه لم يقف على من قام بذلك قبله، ليكون شرحه: "عون القيّوم على كشف الغموم" أولَ شرحٍ لها.[34]

وإن كان الشّيخ محمد باي بلعالم قد تأسّف على عدم معرفة الكثير من العلماء لها، وراح يبعثها من جديد بوضع شرحه هذا عليها، فإنّنا نتأسّف نحنُ أيضاً أشدّ الأسف على ضياع هذا الأخير الذي كان مخطوطا في مكتبته بالمدرسة القرآنية مصعب بن عمير بآولف، ولكنه اختفى بين غمضة عين وانتباهتها[35]، ولم يعد له أثرٌ يدلّ عليه إلا ما أشار إليه الشّيخ باي عنه في مقدمة شرحَيه السّالفي الذّكر : "الرّحيق المختوم لنزهة الحلوم" و "كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم " هذا الأخير الذي كان انتخابا من شرحه المفقود "عون القيّوم" والآخر الموجود "الرّحيق المختوم".

ونحن لا نستبعد أن يكون الشيخ محمد باي قد سار في شرحه هذا على المنهج نفسه الذي سار عليه في شروحه السّابقة، لا سيّما وقد مرّ علينا الشرحُ المنتخب الذي فيه جزءٌ من جهوده المبذولة فيه.

5) **التحفة الوسيمة شرح على الدرّة اليتيمة**: "مطبوع"

لا يختلف هذا المؤلف عن بقية مؤلفات الشّيخ محمد باي بلعالم التي كان يشرح فيها منظومات النّحو، غير أنّ الشّيخ محمد باي في هذا المؤلف قد خفي عنه صاحبه فلم يشر إليه لا من قريب ولا من بعيد، وكان شرحُه لها نزولا عند رغبة أحد الإخوان كما يشير إلى ذلك بقوله في مقدمة الشّرح:"قد طلب مني بعض الإخوان أن نضع شرحاً على الدرّة اليتيمة في النحو، لظنّه أنّي أهل لذلك...، ولقد حاولت أن أتعرف على ناظمها فلم أعثر عليه، وعلى كلّ فإننا نرجو لعملنا ولعمله القبول."[36]

و"الدّرة اليتيمة" هي منظومة في النحو تتكون من مائة بيت وبيت. لناظمها العلامة الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي(1354هـ) التي يقول في مقدمتها:

"حمدا لمن شرفنا بالمصطفى...وباللسان العربي أسعفا"

"ثم على أفصح خلق الله...وآله أزكى صلاة الله"

"يا طالبا فتح رتاج العلم...وقاصدا سهل طريق الفهم"
"اِجنحْ إلى النّحو، تجدْه علما ...تجلو به المعنى العويص المبهما "
"وهاك فيه درّةً يتيمَه ...أرجو لها حسن القبول قيمَه "[37]

5 . 1 . منهجه فيها:

ولقد قام الشّيخ محمد باي بشرحها مثلما فعل مع بقية الشّروح الآنفة الذّكر، إلا أنّ ما يميّزه فيها من حيث المنهج . إضافة إلى ما سبق ذكره . هو إعرابه للأمثلة والشّواهد القرآنية والشّعرية حتى يقرّب الفهم لطالب العلم أكثر نحو قوله فيما يخص علامة إعراب جمع المذكر السالم والملحق به :" ومثال الرفع قوله تعالى: ﴿ومَا أدْرَاكَ مَا عِلّيون﴾[38]فما استفهامية مبتدأ أول مبني أدراك خبر الأول ما عليون ما مبتدأ ثانٍ عليون خبره مرفوع بالواو نيابة عن الضمة وعليه فجمع المذكر السالم وما لحق به يرفع بالواو وينصب ويخفض بالياء." [39] وكذلك الشأن بالنّسبة للشّواهد الشّعرية، فقد كان يعرض إلى إعرابها وبيانها وتبيين موضع الشّاهد منها معتمداً في ذلك على كتب النّحو المتقدّمة، دون أن يذكر ذلك .

وبالرغم من كل ذلك فقد جاء هذا الشّرح مختصرا، في حوالي:53 صفحة، وضمّ سبعة عشرة باباً ومقدمة؛ أوّلها باب حد الكلام والكلمة وأقسامها وآخرها باب الجرّ، وقد تم الفراغ من تبييضه يوم الاثنين **13 جمادى الأولى1413هـ** بالمدرسة الدّينية مصعب بن عمير بأولف.[40]

6) منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب:" مطبوع"

لقد جاء هذا المصنَّف شرحا لمنظومة العالم الأديب **أبي محمد الحريري** (446 – 516 هـ = 1054 – 1122 م) الموسومة بـ: مُلحَة الإعراب في النّحو، التي تتكون من 397 بيتاً، شاملة لمعظم أبواب النّحو وبعض الأمور في الصّرف، وما يميّزها أنها سهلة المتناول للطلاب، في أسلوب بسيط ورائق يقول في مقدّمتها:

أقولُ مِن بَعدِ افتِتَاحِ القولِ... بِحمدِ ذِي الطَّوْلِ شديدِ الحَولِ
وبَعدَهُ فأفضَلُ السّلامِ ...على النّبيّ سَيّدِ الأنَامِ
وآلِهِ الأطهَارِ خيرِ آلِ... فافهَم كَلامي واستَمِعْ مَقّالي[41]

ولقد كثرت الشّروح عليها منذ القديم إلى يومنا هذا، فكان من أشهر شرّاحِها العلاّمة الأديب **بحْرقْ* اليمني** (869 – 930هـ = 1465 – 1524م) الذي وضع عليها شرحاً أسماه

بـ: "تحفة الأحباب شرح ملحة الإعراب"، وبالنّظر إلى عنوان هذا الشّرح المسجوع مقارنة بينه وبين عنوان شرح الشّيخ محمد باي بلعالم عليها، ندرك أن هذا الأخير قد استوحى عنوان شرحه من سابقه؛ لأن لفظ الأتراب والأصحاب يدلان على معنى واحد.

ويظهر من خلال المقدمة أنّ هذا الشرح أيضا كان استجابة لطلب طُلب منه؛ إذ يقول:"ولمّا كانت ملحة الإعراب وسنخة الآداب من أجلّ ما ينتفع به الطلاب، وأجمل ما يثير الإعجاب، لكونها أزالت عن النحو الحجاب، وكشفت عنه النقاب، وقشعت عنه الضباب، وقد طلب مني بعض الأحباب، أن نضع عليها شرحا يفتح منها الأبواب، ويقرّبها للألباب، فأجبته، وإن كنت لست أهلا لمن يحضر للسؤال الجواب. " [42] وظاهر كلام المؤلف يدلّ على المكانة العلميّة التي تتبوؤها هذه المنظومة، حتى إنّه تتضاءل نفسه حين يرى أنه سيُقدِم على شرحها، وما ذلك إلا من تواضع العلماء.

6 . 1 . بيان منهجه في الشّرح:

بدأ الشيخ محمد باي هذا الشرح بذكر الدّواعي التي دفعته إليه مثلما أسلفنا، ثم راح يشرح مقدّمتها مترجماً لصاحب النّظم وذاكرا مناقبه ومكانته العلميّة، كما كان في أثناء شرحه هذا يركّز كثيرا على إعراب متن المنظومة وبيان الوظيفة الإعرابية لكل كلمة ترد فيه، حتى كاد يثنيه ذلك عن الغاية الأسمى من الشّرح وهي بيان مقصود النّاظم، وإضافة إلى النّقاشات العلميّة التي كان يثيرها مستشهدا لها بالقرآن الكريم بجميع قراءاته، دون أن يردّ قراءةً أو يطعنَ فيها أو يضعّفها ومثال ذلك قوله في باب الاستثناء عند الآية الكريمة: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[43] : "قرأ السّبعة، غير ابن عامر بالرفع على الإبدال من الواو في (ما فعلوه). وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على الاستثناء."[44]

هذا إضافةً للحديث النّبويّ الشّريف والشّعر، فإنّه كان عقب شرحه لكلّ بيت من المنظومة يشير إلى ما يقابل المعنى من ألفية ابن مالك أو منظومات أخرى، وفي هذا يظهر لنا مدى اطّلاع الشّيخ محمد باي على المصادر والمراجع الخاصّة باللّغة، التي كان يبني شرحه عليها دون أن يذكر ذلك أو يحيل إليه.

ولم يخلُ شرحه هذا من ذكر مُلح نحويّة أو صرفيّة، أو استطراد من رقائق الآداب والتّاريخ، فقد كان يجمع فيه من كل بستان زهرة، مثال ذلك قوله:" تنبيه: أعرف المعارف اسم الله، ورُئِيَ

سيبويه فقيل له: بمَ غفر الله لك؟ قال: بقولي: (اسم الله أعرف المعارف). وهذا لا يدلّ على أنّه لم يقبل منه غير هذه بل يكون غيرها لرفع الدرجات".[45]

هذا وقوله أيضا في باب التصغير إنّ أوّل من تكلم عن التصغير هو الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله (175هـ) ، هذا بعد أن ذكر فوائده التي يأتي لأجلها.[46]

ولعلّ هذا الشّرح هو الشّرح الوحيد الذي ظهر لنا فيه منهجه في الصّرف؛ كونُ المنظومة المشروحة تشمل على موضوعات صرفيّة كالمقصور والممدود والمنقوص والنّسبة والتّصغير وغير ذلك، بخلاف الشّروح السّابقة المتقدمة فقد كانت أغلبها في فنّ النحو ومثال ذلك قوله عن شرح قول النّاظم في باب التصغير:

"وصغّرِ البابَ فقُلْ بُويبُ ... والنَّابُ إنْ صغّرته نُيبُ.

لأنّ أصل الباب بالباء الموحدة: بَوَبَ محرّكاً، وأصل ناب: نَيَبَ محرّكا أيضاً؛ والقاعدة عند أهل التّصريف إذا تحرّك حرف العلّة وانفتح ما قبله يقلب ألفاً، فجمع باب على أبواب، وجمع ناب على أنياب، والقاعدة أنّ التّكسير والتّصغير يردّان الأشياء إلى أصلها وإلى هذا أشار بن مالك بقوله:

واردُدْ لأصل ثانيّاً ليناً قُلِبْ ... فقِيمةٌ صيّر قُوَيمة تُصِبْ".[47]

وخلاصة القول أنّ هذا الشّرح جاء مستوفياً شافياً حتى بلغ عدد صفحاته 159 صفحةً، وقد كان الفراغ من تبييضه يوم الأربعاء الموافق للثالث من جمادى الآخرة عام1414هـ بالمدرسة الدّينية مصعب بن عمير بأولف، وقد أشار الشّيخ محمد باي إلى أنّ هذه المنظومة كانت تسمى بـ: بنتُ ليلة؛ نظراً لأنّ ناظمها قد ألّفها في مجلس واحد.[48]

خاتمة: (نتائج البحث)

ومما تقدّم جميعاً في هذه الورقة البحقيّة التي عُنيت ببيان جهود الشّيخ محمد باي بلعالم في الدرس اللّغوي نستنتج ما يلي:

01 . أنّ العلّامة الشيخ محمد باي بلعالم كان عالما وفقيها على المذهب المالكي ولغويّاً، فقد ترك لنا ثروة من المؤلّفات قاربت الأربعين مصنّفاً، فسبحان الذي بارك له في وقته حتى ألّف وصنّف وشرحَ ونظمَ فبلغ الغاية في مجال التأليف.

02 . اتّسمت جميع مؤلّفات الشّيخ محمد باي بلعالم من حيث عنواناتُها بالسّجع، على طريقة المتقدّمين من العلماء، وكانت غالبا ما تكون نظما أو شرحا لنظم .

03 . ترك لنا الشّيخ محمد باي بلعالم ستّة مصنّفات في اللّغة؛ وكلها تشمل الجانب النحويّ أو الصّرفيّ؛ حيث إن الجانب الصّوتي كان غائباً في ميدان تصنيفه، كما كانت له جهود معجمية منثورة في غير مظانّها من مؤلفاته الخاصة بغريب القرآن والتاريخ.

04 . لقد جاءت مؤلفات الشّيخ محمد باي بلعالم اللّغوية السّالفة الذّكر على نمطين؛ النّمط الأوّل وهو النّظم فقد كان ينظم منظوماتٍ في النّحو حتى يسهل حفظها على الطّلاب، كما فعل مع مقدمة ابن آجروم، والنّمط الثاني هو شرح المنظومات النّحوية وبيانها وحل ما أشكل من ألفاظها.

05 . لقد كان الشّيخ محمد باي بلعالم أول من شرح منظومة العلاّمة محمد بن أبّ المزمري المسمّاة: "كشف الغموم في نظم مقدّمة ابن آجروم".

06 . اتّبع الشّيخ محمد باي بلعالم في شروحه اللّغوية طريقة المتقدّمين؛ فقد كان يشرح الكلمات الغامضة ببيان معناها اللّغويّ، ثم يبيّن مقصد النّاظم منها ويستدلّ لذلك بالقرآن مع جميع قراءاته المتواترة دون أن يردّ شيئا منها، ثم الحديث النّبوي الشّريف فالشّعر، إضافة إلى النّقاشات التي كان يعرض لذكرها في أثناء شرحه للمسائل النّحوية والصّرفية، فيرجّح بعض الأقوال على بعض مستندا إلى دليل ما ويستحسن بعضها الآخر.

07 . أكثرَ الشّيخ محمد باي بلعالم من الاستشهاد بألفية ابن مالك؛ فقد كان يورد أبياتا منها في نهاية كلّ بيت يشرحه من المنظومات النّحوية، كما كان يورد مُلَحاً نحويّة وصرفيّة تدلّ على سّعة علمه واطّلاعه في هذا الفنّ.

08 . كان الشّيخ محمد باي بلعالم يعرب الأمثلة والشّواهد القرآنية والشّعرية، تقريبا للفهم وتذليلا للصّعوبات على طالب العلم، بل لم يكتفِ بذلك فقط بل كان في أغلب الأحيان يعرب متن المنظومة التي يشرحها حتى أفضى في بعض الأحيان إلى ملل وتطويل، على حساب بيان مقصد النّاظم.

09 . أغلب الشّروحات التي قام بها الشّيخ محمد باي كانت بطلب من أصدقائه وأحبابه، فكان يلبّي رغباتهم مستعينا بالله طالبا لتوفيقه وكان في خاتمة كل مؤلف يذكر تاريخ الفراغ من تأليفه.

10 . اعتمد الشّيخ محمد باي على مراجع نحويّة وصرفيّة كثيرة في أثناء شروحه، لكنّه لم يشر إليها، وأغلبها من مصنّفات المتقدّمين كشروح الألفية وكتب ابن هشام الأنصاري وغيرها.

11. لقد كانت الجهود الصّرفية للشّيخ محمد باي بلعالم قليلةً، فهي محصورة في شرحه الموسوم بـ: "منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب"، وشملت مباحثَ صرفيّةً تتمثّل في: النّسبة والاسم المقصور والممدود والمنقوص، والتّصغير.

الهوامش:

[1] . ينظر:محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج01، ص14.

[2] . ينظر: محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، 1433هـ، ص75 . 76.

[3] . محمد باي بلعالم، الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري، دار ابن حزم، ط01، 2010م، ص06.

[4] . ينظر:محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، المرجع السابق، ص21 . 22.

[5] . ينظر: محمد باي بلعالم، السبائك الإبريزيّة شرح على الجواهر الكنزيّة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط)، 1993م، ص3 . 4 .

[6] . ينظر: عبد المجيد قدّي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، دار الأبحاث، الجزائر، ط02، 2007م، ص112 . 113.

[7] . ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومه، الجزائر، 2005م، ص445، 447، 507.

[8] . ينظر: عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص114.

[9] . ينظر: محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، مرجع سابق، ص74. والرحلة العلية إلى منطقة توات، مرجع سابق، ص521.

[10] . أحمد أبا الصافي جعفري، أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط01، 2011م، ص155.

[11] . ينظر: أسماء أبلالي، الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم بإقليم توات، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2013م. ص 210 . 211 . 212. وأحمد أبا الصافي جعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص155 . 156.

* **العمريطي**(ت .بعد 989 هـ): هو يحي بن نور الدين أبي الخير بن موسى العمريطي الشافعي الانصاري الأزهري، شرف الدين " نحوي. له عدة منظومات، منها: " الدرة البهية في نظم الأجرومية – ط " نحو، و " نهاية التدريب في نظم غاية التقريب – ط " في فقه الشافعية، و " نظم التحرير – ط " فقه، و " تسهيل الطرقات في نظم الورقات – ط " في أصول الفقه، و " أرجوزة في النحو – خ " أولها: " الحمد لله الذي قد وفقا " . ينظر:(الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج08، ص174).

[12] . ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص156.

[13] . ينظر: أسماء بلالي، الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم بإقليم توات، مرجع سابق، ص224 . 225.

[14] . المرجع نفسه، ص226.

[15] . ينظر: عبد المجيد قدّي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، مرجع سابق، ص113 . 114.

[16] . ينظر: محمد باي بلعالم، إرشاد الحائر، المرجع السابق، ص78. 79.

[17] . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومه، الجزائر، 2005م، ج02، ص338.

[18] . ينظر المرجع نفسه، ج02، ص333 . 352.

* **ابن آجروم** (672 – 723 هـ = 1273 – 1323 م) هو:محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله: نحوي، ولد بفاس واشتهر برسالته (الآجرومية – ط) وقد شرحها كثيرون. وله (فرائد المعاني في شرح حرز الأماني – خ). وله مصنفات أخرى وأراجيز. ينظر (الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج07، ص33).

[19] . محمد باي بلعالم، اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم، دار ابن حزم، ط01، 2010م، ص40.

[20] . محمد باي بلعالم، اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم، المرجع السابق، ص40.

[21] . المرجع السابق، ص41.

[22] . المرجع نفسه، ص48.

[23] . المرجع نفسه، ص52.

* المنهوم اسم مفعول من نَهِمَ، ويطلق على الشخص المولع بشيء ما قال الفيّومي في المصباح المنير:"وَنُهِمَ بِالشَّيْءِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ إذَا أُولِعَ بِهِ فَهُوَ مَنْهُومٌ." ينظر: (المصباح المنير للفيّومي، دار المعارف، القاهرة، ط02، ج02، ص628.)

[24] . محمد باي بلعالم، كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط)، ص03.

[25] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* البيت للخنساء كما في ديوانها بشرح ثعلب. ينظر:(ديوان الخنساء بشرح أبي العباس ثعلب، تح: أنور أبو سويلم، دار عمّار، عمان، ط1988،01، ص378)

[26] . المرجع نفسه، ص04.

[27] . محمد باي بلعالم، كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم، مرجع سابق، ص42.

28 ينظر: المرجع نفسه، ص115.

* **محمد بن أبّ المزمري**(1094 ـ 1160 هـ): هو السّيد محمد بن أبّ بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري، ولد بقرية أولاد الحاج بآولف، وأخذ مبادئ العلم والقرآن في مسقط رأسه لينتقل بعد ذلك إلى زاوية كنتة ليكمل تعليمه على يد علمائها، كما أخذ عن الشيخ بوسماح التلمساني، وقد طوّف في أماكن أخرى طلبا للعلم والمعرفة، حتى تفتقت قريحته، وعلا شأنه بين علماء عصره، فتمكن من علم العروض والنحو وغيرهما حتى بلغ الغاية في ذلك، توفي رحمه الله يوم الاثنين جمادى الثانية من سنة 1160هـ، وترك كمّا هائلا من المؤلفات منها: نظم مقدمة ابن آجروم في النحو سمّاه نزهة الحلوم، ومنظومة العبقري في أحكام السهو في الصلاة، وروضة النسرين في مسائل التمرين في الصرف وغيرها كثير. ينظر:(عبد المجيد قدي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، مرجع سابق، ص81 ، 82، 85.)

[29] . محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط)، ص04 ـ 05.

[30] . محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، المرجع السابق، ص12.

[31] . المرجع نفسه، ص37.

[32] . المرجع السابق نفسه، ص115.

[33] . محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص04.

[34] . محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص04.

[35] . الدكتورمحمد بن عبد الله بلعالم حفيد الشيخ محمد باي رحمه الله، مقابلة تمت يوم: 18 / 09/ 2020م. بمسجد الشيخ رحمه الله.

[36] . محمد باي بلعالم، التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط)، ص03.

[37] . الحضرمي سعيد بن نبهان، الدرّة اليتيمة في النحو، تح: أبو مصعب محمد بن ماهر بن محمد الشيخ، مطبعة أولاد الشيخ، (د.ط)، ص02.

[38] . سورة المنافقون: الآية 19.

[39] . محمد باي بلعالم، التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، مرجع سابق، ص22. وينظر أيضا: ص36، 37،

[40] . المرجع نفسه، ص53.

[41] . الحريري، ملحة الإعراب، دار السلام، القاهرة، ط01، 2005م، ص03.

* **بحرق** (869 – 930 هـ = 1465 – 1524 م): هو محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير ببحرق: فقيه أديب باحث متصوف. نعته الزبيدي بعلامة اليمن. ولد بحضرموت وأخذ بها وبزبيد ومكة والمدينة، عن علمائها، ونبغ. وولي القضاء بالشحر، ثم استقال ورحل إلى الهند، فأكرمه السلطان مظفر، وأقام إلى أن مات في أحمد أباد. من تصانيفه(نشر العلم في شرح لامية العجم – ط)، و (تحفة الاحباب – ط) شرح ملحة

الإعراب، نحو، و (عقد الدرر) في القضاء والقدر، و (شرح لامية الافعال لابن مالك – ط) في الصرف. ينظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج06، ص314 ـ 315.

[42] . محمد باي بلعالم، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار هومه، الجزائر، (د.ط)، 2001م، ص03.

[43] . سورة النساء: الآية 66.

[44] . محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص81.

[45] . محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص13.

[46] . ينظر: المرجع نفسه، ص107.

[47] . المرجع السابق نفسه، ص108.

[48] . نفسه، ص159.

قائمة مراجع البحث.

القرآن الكريم.

01 . **أحمد أبا الصافي جعفري،** أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط01، 2011م.

02 .**أسماء أبلالي،** الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم بإقليم توات، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2013م

03 . **الحريري،** ملحة الإعراب، دار السلام، القاهرة، ط01، 2005م.

04 . **الحضرمي سعيد بن نبهان،** الدرّة اليتيمة في النحو، تح: أبو مصعب محمد بن ماهر بن محمد الشيخ، مطبعة أولاد الشيخ، (د.ط).

05 . **الزركلي خير الدين،** الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

06 . **الفيّومي أبو العباس،** المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط.02

07 . **الخنساء** ، ديوان الخنساء :بشرح أبي العباس ثعلب، تح: أنور أبو سويلم، دار عمّار، عمان، ط01، 1988

08 . **عبد المجيد قدّي**، صفحات من تاريخ منطقة أولف، دار الأبحاث، الجزائر، ط02، 2007م.

09 . **محمد الصالح حوتية**، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، الجزائر.

10 . **محمد باي بلعالم**، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، 1433هـ.

11 . **محمد باي بلعالم**، الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري، دار ابن حزم، ط01، 2010م.

12 . **محمد باي بلعالم**، السبائك الإبريزيّة شرح على الجواهر الكنزيّة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط)، 1993م.

13 . **محمد باي بلعالم**، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومه، الجزائر، 2005م.

14 . **محمد باي بلعالم**، اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم، دار ابن حزم، ط01، 2010م.

15 . **محمد باي بلعالم**، كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط).

16 . **محمد باي بلعالم**، الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط).

17 . **محمد باي بلعالم**، التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، (د.ط).

18 . **محمد باي بلعالم**، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار هومه، الجزائر، (د.ط)، 2001م.

المقابلات:

01 . **الدكتور محمد بن عبد الله بلعالم**، حفيد الشيخ محمد باي رحمه الله، مقابلة تمت يوم: 18 / 09/ 2020م. بمسجد الشيخ رحمه الله.